الفصل الثانى

أنواع التيارات الشعوبية ومواجهة الجاحظ لها

تصوير الجاحظ للنشاط الشعوبي فى عصره

يصور الجاحظ النشاط الشعوبي فى عصره تصويرًا يتضح فيه النفوذ الكبير الذى وصل إليه الموالى فى ذلك العصر، والأدوار المختلفة التى لعبوها فى شتى مجالات الحياة لإظهار هذا النفوذ الواسع الذى طالما طمحت أنفسهم إليه فى عصر بنى أمية، وقد واتتهم الفرصة لتحقيقه مع عصر الدولة العباسية التى قامت على أكتافهم[١].

والجاحظ يذكر أن الموالى كانوا فى العصر العباسى دائمًا ما يرددون هذه النغمة: فى أن دولة بنى العباس قد قامت على كواهلهم؛ ولذا فهم جديرون بأعلى المناصب فى الدولة وأحسن الأوضاع فيها، يقول الجاحظ متحدثًا بلسانهم: " ونحن أهل هذه الدولة، وأصحاب هذه الدعوة، ومنبت هذه الشجرة ومن عندنا هبت هذه الريح.

والأنصار أنصاران: الأوس والخزرج نصروا النبى ﷺ فى أول الزمان، وأهل خراسان نصروا ورثته فى آخر الزمان. غذانا بذلك آباؤنا وغذونا به أبناءنا، وصار لنا نسبًا لا نُعْرف إلا به، ودينًا لا نُوَالى إلا عليه"[٢].

وقد كافأ العباسيون الموالى لما أسدوه لهم من مساعدات جسيمة فى قيام دولتهم، فوضعوهم فى أعلى مناصب الدولة؛ فكان منهم الوزراء والكتاب وقادة الجند.

وأخذت الدولة العباسية بفعل تساهل الخلفاء مع الموالى ومنحهم المناصب الكبرى فى الدولة تصبغ صبغة جديدة، فقد انتقل الجهاز الإدارى الذى تسير به دولة الفرس القديمة للعباسيين[٣].

وتشكلت الدولة بصبغة أعجمية، وفى هذا يقول الجاحظ: إن دولة بنى العباس "عجمية خراسانية، ودولة بنى مروان عربية أعرابيـــة وفـــى أجنـــاد شامية"(٤).

ويعرض الجاحظ مظاهر هذا النفوذ الكبير الذى وصل له الموالى فى العصر العباسى، وما صاحبه من تيار شعوبى هادر يحاول أن يعصف بكل عريق ومجيد فى الأمة.

ومما يعرضه الجاحظ عنهم أنه وصف محاولاتهم التغلغل فى كل مجالات الحياة من سياسية ودينية واجتماعية وأدبية، وأنهم حاولوا أيضًا احتكار المناصب الكبرى فى الدولة – باستثناء منصب الخليفة – ، وأنهم سعوا لفرض نفوذهم على الأسواق التجارية ليتحكموا فى البيع والشراء(٥). ويصف الجاحظ حرصهم على جمع المال واكتنازه، ومحاولتهم إخضاع العرب لهم من خلال استدانتهم منهم، ومن ذلك ما يخبرنا به الجاحظ عن أبى سعيد المدائنى الذى كان من أصحاب الأموال الكثيرة – على حد وصف الجاحظ له – وكان قد أقرض رجلاً من بنى ثقيف مبلغًا من المال، ولما اتهم أبا سعيد أحد إخوان الرجل الثقفى بأنه لا يأتى أبا سعيد فى كل يوم إلا رغبة فى طعامه لا طلبًا للدين الذى له عليه، أقسم أبو سعيد أنه لن يأخذ من الثقفى ماله ، وبعد أن ألح عليه الثقفى فى أن يأخذ منه ماله الذى له عليه قال له "أظن الذى دعا صاحبك إلى ما قال أنه عربى وأنا مولى فإن جعلت شفعاءك من الموالى أخذت هذا المال، وإن لم تفعل فإنى لا آخذه ، فجمع الثقفى كل شعوبى بالبصرة حتى طلبوا إليه أخذ المال"(٦).

وهذه الرواية إلى جانب ما تطلعنا به من ثراء عدد كبير من الموالى واستخدامهم هذا الثراء لإظهار نفوذهم الكبير الذى وصلوا إليه فـــى العصـــر العباسى فإنها أيضًا تصور لنا كيف أن الموالى كانوا يشـــعرون فـــى ذلـــك العصر أنهم قد أصبحوا جماعة لا يستهان بها فى المجتمع .

وإذا كانت أية رابطة أو جماعة تحتاج ليكون لها التأثير فى المجتمع إلى أن يكون لها تنظيم يشملها من القادة والأتباع، والى المال الذى تدبر به شئونها، فإننا نستطيع أن نقول إن عددًا لا بأس به من بين الموالى المائلين للشعوبية قد جمع بين امتلاك المال وحيازة المنصب السياسى الكبير فى الدولة فى عصر الجاحظ، وبذلك شكلوا تيارًا يجمع بين التنظيم الجيد وامتلاك الأموال.

وإذا كانت الرواية السابقة قد وضحت كيف أن عددًا منهم كان يمتلك الأموال الكثيرة، ويستغلها فى السيطرة على مجريات الأمور، ومحاولة إذلال العرب بإلجائهم للاقتراض منهم ثم مطالبتهم بما لهم عليهم – فإننا نذكر هنا نصًّا آخر للجاحظ يدل على أن الشعوبيين كانوا جماعات منظمة لهم قادة يوجهونهم للأغراض المتفق عليها بينهم فى استعادة أمجادهم القديمة ومحاولة تشويه كل ما يمس العرب.

ويذكر الجاحظ فى هذا النص أن النضر بن إسماعيل كان رئيس الشعوبية فى البصرة وكان يكنى أبا المنذر، وكان قاصًّا بليغًا شجاعًا(٧).

وإذا كان للشعوبية رئيس فى البصرة فالمفترض أن يكون لهم رؤساء آخرون فى الأماكن الأخرى من الدولة العباسية التى يتجمعون فيها ويحاولون فيها فرض نفوذهم .

على أن هذه التنظيمات التى كانت تضم الشعوبيين، وإن توحدت على المستوى الفكري ووحدة الهدف فإنها لم تستطع أن تتوحد على المستوى السياسي، بمعنى أن ينصهر بعضها فى بعض وتجمع عزيمتها من أجل الانقلاب الثوري على الدولة فى كل أرجائها فى وقت واحد، وكان من أسباب عدم توحد هذه التنظيمات سياسيًّا ما كان يقوم به الخلفاء العباسيون من مراقبة شديدة لنشاطهم، وقضائهم على رؤسائهم حين يخافون أن يستفحل أمرهم وتكبر شوكتهم.

ومن ذلك قضاء خلفاء الدولة العباسية على زعماء الموالى الذين عُرِفوا بتأييدهم للاتجاهات الشعوبية كالبرامكة والفضل بن سهل[٨].

إلى جانب أن العرب كانوا من حين لآخر يقومون بعقاب أصحاب الصيحات الشعوبية، ومن ذلك تلك الرواية التى يقول فيها الجاحظ: إن الحكم ابن قنرمازني " قد عظم شأنه فى بنى تميم، حتى كان يصلى على جنائزهم، فلما لجّ فى رأى الشعوبية، وقال فى ذلك الأشعار، ضربته بنو مازن، وهم مواليه، فلما ألحوا عليه فى الضرب نادى: يا آل تميم! فقال أعرابي:

يدعو تميمًا وتميم تضربه تلطمه طورًا وطورًا تركبه"[٩].

وبسبب يقظة الخلفاء العباسيين للشعوبية وزعمائهم فى العصر العباسي الأول، ومقاومة العرب لهم، فإن تأثيراتهم السياسية تبدو ضعيفة إلا من ثورات قام بها بعض زعمائهم فى خراسان وما جاورها للاستقلال عن الدولة العباسية، وقد تم القضاء عليها وعلى هؤلاء الثائرين.

فى حين أننا سنجد أن الأنشطة التى قام بها الشعوبيون فى مجالات الفكر والأدب كانت أكثر وضوحًا وأشد تأثيرًا؛ لأن القائمين بها لم يكن يُضيق عليهم من قبل الدولة بالشكل نفسه الذى يُضيق به على الشعوبيين أصحاب الأهداف السياسية فى الاستقلال عن الدولة العباسية.

بقى أن نذكر هنا – وقبل أن ندرس أنواع التيارات الشعوبية – أن الجاحظ قد وضح أن كل محاولات الشعوبيين فى عصره لفرض نفوذهم فى شتى مجالات الحياة لم تستطع أن تمحو النفوذ العربي القوى فى الدولة والمجتمع، وأكبر مثال على ذلك حرص الكثير من الموالي على الانضواء تحت النسب العربي والانسلاخ من النسب الفارسي.

ومن ذلك يقول الجاحظ: إن مولى لأبى بكر الشيبانى ادّعى إلى العرب من ليلته، فأصبح إلى الجلوس فى الشمس فمر به محمد بن منصور،

فرآه فإذا هو فى ضاحية، وإذا هو يحك جلده بأظافره خمْشًا وهو يقول: إنما نحن إبل!

وقد قيل له مرة: إنك تتشبه بالعرب فقال: ألى يقال هذا؟ أنا والله حرباء تنضية، يشهد لى سواد لونى، وشعاثتى، وغور عينى وحُبِّى الشمس(١٠).

ويذكر الجاحظ روايات أخرى لرجال من الموالى ادعوا النسب إلى العرب، وتحايلوا فى ذلك بالتشبه بالعرب فى العمل بعاداتهم فى الجلوس للشمس والحديث بطريقتهم(١١) . وكل هذا يؤكد أن نفوذ العرب كان لا يزال كبيرًا فى ذلك العصر على الرغم من نشاط الموالى الكبير فى كل مجالات الحياة ومختلف أشكالها.

أنواع التيارات الشعوبية

واجه الجاحظ الشعوبية فى كل أنواعها وعناصرها، وردّ على افتراءاتهم وادعاءاتهم على العرب والإسلام(١٢)، ولم يترك بابًا حاول الشعوبيون أن يلجوا منه لطمس حضارة العرب أو للنيل من الإسلام إلا دخله وراءهم ليقضى على مزاعمهم ويوضح الحقائق التى حاولوا طمسها أو النيل منها.

وقد كان النشاط الشعوبي الذى استفحل أمره فى العصر العباسي الأول يتمثل فى ثلاثة تيارات هى: التيار السياسي والتيار الديني والتيار الأدبي.

وتتداخل هذه التيارات تداخلاً كبيرًا حتى لتصبح المسافات بينها قليلة أو معدومة، فقلما نرى شعوبيًّا سياسيًّا إلا جمع لذلك الزندقة، وكذلك قلما نرى شاعرًا أو أديبًا شعوبيًّا إلا وأضمر بغض العرب والإسلام، ويتمنى فى نفسه

زوال الدولة العباسية ، ويعمل ما فى وسعه من أجل هذه الرغبات المتراكمة فى داخله.

التيار الشعوبي السياسي

أما عن التيار الشعوبى السياسي فهو يتضح من خلال ما كان يقوم به بعض الثوار الشعوبيين من محاولة عمل انقلابات وحروب ضد الدولة من أجل اجتزاء أجزاء منها لتصبح بحوزتهم، وتخرج عن سلطة الدولة العباسية.

كما أن هذا النشاط السياسي كان يتضح أيضًا من خلال ما يقوم به بعض كبار رجال الدولة من وزراء وكتاب وقادة جند ينتمون لأصول غير عربية، يحاولون هم أيضًا المساس بكيان الدولة العباسية وإعادة السلطان للفرس أو للترك، وكان عمل هذا الفريق يجنح إلى الخفاء والمداراة فى كثير من الأحوال عند قيامة بنشاطه الشعوبي ضد الأمة العربية والإسلام؛ خوفًا من أن يكشف الخلفاء وكبار رجال الدولة الآخرون من العرب ميولهم وخططهم ضد الدولة فيقضوا عليهم.

على أن هذا الفريق الأخير الذى يميل للعمل السياسي فى بطانة الخلفاء العباسيين وتحت جناح الدولة العباسية، ويحاول زرع خلايا الشعوبية وإعادة الأمجاد الفارسية – كثيرًا ما كانت قدمه تزل فيفتضح أمره للخلفاء العباسيين، فيكون جزاؤه القتل أو السجن أو التشريد .

وقد واجه الجاحظ التيار الشعوبي السياسي بنوعيه: التيار الثوري الذى يعمل فى واضحة النهار من أجل القضاء على الدولة العباسية، والتيار الآخر الذى يشرع أسلحته فى الخفاء ضد الدولة ودينها الإسلام.

وتبدو مواجهة الجاحظ للتيار الشعوبي الثوري، فى حديثه عن بعض الشعوبيين الذين ثاروا ضد الدولة – خاصة فى مشرق العالم الإسلامي – وحاولوا الخروج عن الدولة واجتزاء أجزاء منها.

ومن هؤلاء الشعوبيين الثوار الذين تحدث عنهم الجاحظ – المقنع الخراساني الذى ثار بخراسان فى عهد المهدى، وكثر أبتاعه، وكاد يستقل بخراسان لولا أن أرسل له المهدى جيشًا بقيادة معاذ بن مسلم فى نحو سبعين ألف مقاتل، وطاوله كثيرًا حتى ظفر به وبأصحابه سنة ١٦٩ هـ[١٣].

ويعطينا الجاحظ فى كتابه "البرصان والعرجان" بعض معلومات عن المقنع تفيد أنه ثائر جمع بين الخروج على الدولة وعلى دينها أيضًا، فيقول: "وكان المقنع الذى ادعى الربوبية بخراسان أيام حميد بن قحطبة، أعور قصارًا يسمى عطاء"[١٤].

وفى كتاب البيان والتبيين يقدم الجاحظ صورة ساخرة عن هذا الثائر على الدولة تظهر قبحه بما لا مثيل له ، وغباء من اتبعه وصدقه، يقول الجاحظ: "و كان المقنع الذى خرج بخراسان يدعى الربوبية، لا يَدَع القناع فى حال من الحالات. وجهل بادعاء الربوبية عن طريق المناسخة، فادعاها من الوجه الذى لا يختلف فيه الأحمر والأسود، والمؤمن والكافر، أن باطله مكشوف كالنهار. ولا يعرف فى شئ من الملل والنحل القول بالتناسخ إلا فى هذه الفرقة من الغالية. وهذا المقنَّع كان قصَّارًا من أهل مرو، وكان أعور ألكن فما أدرى أيهما أعجب، أدعواه بأنه ربّ، أو إيمان من آمن به وقاتل دونه؟! وكان اسمه عطاء"[١٥].

كما يؤكد الجاحظ فى موضع آخر أن المقنع وكل من ادعى الربوبية ذهبوا إلى التناسخ الذى يتهافتون به، وفساده كثير[١٦].

على أنه مما يلفت النظر قول الجاحظ بأن باطل المقنع بادعاء الربوبية واضح كالنهار، ولكن هذا النهار من الغريب أنه قد التبس على كثير من أهل خراسان – أو بمعنى أوضح لم يعنهم النظر إليه – وآمنوا بالمقنع، وثاروا على الدولة تحت لوائه؛ مما يعنى أن هؤلاء الثائرين معه على الدولة لم يكن يعنيهم أن يكون ما يدعيه المقنع حول نفسه ودعوته هو الحق الجلي

كالنهار بقدر ما كان يعنيهم الانقلاب السياسي على الدولة العباسية والحكم العربي.

وقد تحدث الجاحظ عن ثائر شعوبي آخر ضد الدولة هو بابك الخُرَّمِيّ الذى بدأت ثورته ضد الدولة فى عهد المأمون سنة ٢٠١هـ فى مدينة البد[١٧]، واستمرت ثورته وحروب الدولة معه حتى قبض عليه وقضى على ثورته فى عهد المعتصم سنة ٢٢٣هـ[١٨].

وقد طالت الفترة التى ثار خلالها بابك على الدولة، وهزم خلالها كثيرًا من جيوش الدولة، وقتل عددًا كبيرًا من قادتها العظام، كما أنه كَبَّد الدولة خسائر كثيرة فى الأرواح والأموال[١٩].

وكما كانت ثورة المقنع مزيجًا من العمل السياسي والديني ضد الدولة ودينها الإسلام، فكذلك كانت ثورة بابك ذات صلة بالمزدكية الفارسية[٢٠]، كما أن البَابَكِيَّة نتيجة لفكر الخُرَّمِيَّة التى تعمل على تحويل الملك من العرب المسلمين إلى الفرس المجوس، ومن مبادئها أيضًا تأليه البشر، فقد ألهوا بابك، كما أن من مبادئها الإيمان بالتناسخ والإيمان بالرجعة[٢١].

ويصف لنا الجاحظ هذا الثائر على الدولة وصفًا ساخرًا بقوله: "وخبرنى من رأى بابك عند المعتصم بعد أن نزعت القلنسوة السمور من رأسه فإذا أصلع صعل الرأس"[٢٢].

ولعل هذا الوصف الساخر من الجاحظ للمقنع الخراساني وبابك الخرمي لم يكن إلا سخرية منه بهؤلاء الذين ثاروا على الدولة وحاولوا النيل منها، فالجاحظ هنا يعبث بهم ويضحك الناس عليهم، انتقامًا منهم لما كبدوه للدولة من خسائر، وإضعافًا لعزائم البقية التى لا تزال تؤمن بهم فى الأماكن التى انتشرت فيها ثوراتهم.

ويذكر الجاحظ عن هذا الثائر الشعوبي على الدولة – بابك– عداوته للإسلام، من خلال إيذائه المسلمين الذين كانوا يحافظون على إسلامهم

الحنيف دون مزجه بهذه الانحرافات الدينية التى يعمل بها بابك ومن اتبعه، وذلك فى قوله: "المخطراني: الذى يأتيك فى زي ناسك، ويريك أن بابك قد قَوَّرَ لسانه عن أصله، لأنه كان مؤذنًا هناك. ثم يفتح فاه كما يصنع من يتثاءب، فلا ترى له لسانًا ألبتة. ولسانه فى الحقيقة كلسان الثور، وأنا أحد من خُدِعَ بذلك. ولابد للمخطراني أن يكون معه واحد يعبر عنه، أو لوح أو قرطاس قد كتب فيه شأنه وقصته"(٢٣).

كما أن الجاحظ يتحدث فى موضع آخر من كتبه عن عداوة بابك للإسلام وثورته على الدولة التى كبدتها كثيرًا من الخسائر فى الأرواح والأموال حتى قضى عليها المعتصم، وذلك فى قوله: "ومن ذلك بابك فإنا لا نعلم خارجيًّا فى الأرض كان أشد عداوة للإسلام وأهله، والقرآن ومن قرأ منه، بعد أن اتسعت له العساكر، وقتل القواد، وأخرب البلاد، وبعدما أودع القلوب من الهيبة والمخافة، وتجرد له(*) حتى أخذه أسيرًا، فقتله وصلبه حيث مازيار"(٢٤).

وأنت ترى أن الجاحظ فى هذه السطور القليلة قد بسط القول فى وصف خطر الثورة البابكية بقيادة بابك على الدولة، وكيف أنها كانت الأخطر ضمن الثورات التى واجهتها الدولة العباسية فى عصر الجاحظ بما فعله بابك والثائرون معه من قتل الجند وتخريب البلاد وإيداع قلوب الناس الهيبة والخوف منهم.

ويعد الجاحظ قضاء المعتصم على ثورة بابك من أعظم الأعمال التى قام بها فى داخل الدولة من أجل استتباب الأمور واستقرارها، ولما كانت هذه الثورة أخطر ما واجه الدولة من أعدائها الثائرين عليها فى داخلها فإن قضاء

(*) يقصد المعتصم.

المعتصم عليها يعنى أنه أشجع الخلفاء وأقواهم، وقاهر كل من تحدثه نفسه للمساس باستقرار الدولة.

وكان المازيار أحد الثائرين الآخرين على الدولة الذين دفعتهم شعوبيتهم الفارسية لمحاولة الخروج عنها ونهب أجزاء من أراضيها لحسابهم الخاص.

ويصف الجاحظ ثورة المازيار على الدولة العباسية فى عصر المعتصم، وقضاء المعتصم عليها وعليه بقوله: "فمن ذلك، مازيار ملك طبرستان، بعد أن تغلب، وقتل، وتهضم، وسبى وتمكن من تلك القلاع والجبال والمضائق المنيعة، والسبل الوعرة، حتى ظفر به وقتله وصلبه"(٢٥).

والملاحظ من كلام الجاحظ حول عقاب الدولة لبابك والمازيار أن الدولة العباسية عندما كانت تقبض على هؤلاء الشعوبيين الثائرين عليها كانت لا تكتفي بقتلهم، ولكنها كانت تنكل بهم قبل ذلك، ثم تمثل بجثثهم من خلال صلبها وحرقها وتقطيعها، وذلك حتى يكونوا عبرة لكل من تسول له نفسه الخروج على الدولة أو الثورة عليها.

ومن الجدير بالذكر هنا أن الجاحظ فى تتبعه الشعوبيين الثائرين على الدولة فى مشرق العالم الإسلامي كالمقنع الخراسانى وبابك الخرمى والمازيار والثائرين عليها فى مغربه قد حاول أن يخرج بنتيجة؛ مفادها أن الثورات والانشقاقات والانقسامات داخل العالم الإسلامي تكثر فى المغرب عنها فى المشرق، ولكنها فى المشرق تميل إلى الثورة على الإسلام ودولته ومحاولة اقتلاعهما من جذورهما، أما فى المغرب فيكتفى الثائرون بالخروج عن سلطة الدولة وإظهار بعض البدع والضلالات، يقول الجاحظ فى ذلك: "ولا أعلم الفرقة فى المغرب إلا أكثر من الفرقة فى المشرق، إلا أن أهل المغرب إذا خرجوا لم يزيدوا على البدعة والضلالة، والخارجى فى المشرق

لا يرضى بذلك حتى يجوزه إلى الكفر، مثل المقنع وشيبان[*] والإصبهبذ [**] وبابك وهذا الضرب"[٢٦].

ولعل تعليل ما ذكره الجاحظ عن كثرة الفرقة في المغرب عن المشرق، أن أهل المغرب من البربر وهم من الصعب السيطرة عليهم للطبيعة البدوية التى فيهم والتى تتأبى على الاستقرار والخضوع، فكانوا كلما قهرهم جيش من جيوش المسلمين ما يلبثون بعد حين أن يثوروا على الحكومة الحاكمة لهم ويخرجوا عليها وينفروا من الطاعة.

كما أنهم لهذه الطبيعة البدوية فيهم ، كانوا بعد إسلامهم لا يشتطون فى البعد عن تعاليم الإسلام ومنهجه .

أما أهل المشرق فقد كانت لهم قبل الإسلام حضارات عريقة كالحضارة الفارسية والحضارة البابلية، وكانت لهم ديانات كالزرادشتية والمزدكيه والمانوية، وعندما قهرتهم الدولة الإسلامية لم ينسوا كل هذا، وعمل بعض أبناء فارس وما جاورها من بلاد المشرق متأثرين بالدوافع الشعوبية على الخروج على الدولة الإسلامية وهدم مبادئ الإسلام سواء أكان ذلك بالمواجهة المباشرة كما كان حال بابك ومن على شاكلته من الثوار على الدولة ، أم من خلال تيار الشعوبية الذي كان يعمل فى الخفاء والذي كان يكنه بعض أهل البلاد المفتوحة الذين تظاهروا بالإسلام وأبطنوا الزندقة.

ولكل هذا فقد كانت الثورة فى المشرق لا تعنى محاولة الانقلاب السياسى على الدولة العباسية فحسب، بل تعنى أيضًا محاولة النيل من الإسلام وإعلان الزندقة.

(*) أحد الخوارج خرج أيام مروان بن محمد .

(**) قائد فارسى أثناء الفتوحات الإسلامية .

ولم يكتف الجاحظ بمواجهة الشعوبيين الثائرين على الدولة، وإنما واجه أيضًا هؤلاء الشعوبيين الذين اندمجوا فى الدولة العباسية ونالوا أكبر الأدوار السياسية فيها، فحاولوا من خلال مناصبهم استعادة الأمجاد الفارسية وإفساد تراث العرب وقيمهم .

والجاحظ لا يفصّل القول فى كتبه حول هؤلاء الرموز السياسيين الذين استغلوا مناصبهم فى تأييد الشعوبية وعناصرها؛ فهو يفضل أن يعرض أفكار الشعوبية ويناقشها من أن يتعرض بالجدال والنقاش لبعض الأعلام والرموز الشعوبيين(*)؛ لأن هؤلاء الأعلام الذين ينادون بهذه الأفكار الشعوبية قد يفنون، ويأتي غيرهم يردد أقوالهم نفسها، فكانت طريقة الجاحظ فى الاهتمام بالأفكار والدعاوى الشعوبية والرد عليها أفضل بكثير من مجرد الصدام مع بعض الأعلام الشعوبيين.

ثم إن كثيرًا من هؤلاء الأعلام الشعوبيين فى مجال السياسة كانوا فى مناصب كبرى فى الدولة، وليس من الكياسة للجاحظ أو لغيره من الكتاب المؤيدين للعرب أن يصطدموا بمثل هؤلاء الرجال ذوى المناصب الكبيرة فى الدولة .

ولكننا – على الرغم من كل هذا – نجد الجاحظ يعرض أحيانًا من طرف خفي لما كان يقوم به بعض هؤلاء الرجال الكبار فى الدولة من الفرس من أفعال معادية للعرب أو لما يخص بيئتهم التى جاءوا منها ، وهى الجزيرة العربية.

(*) راجع فى هذا: د. عبد الله التطاوى: الجدل والقص فى النثر العباسى. القاهرة، دار الثقافة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م، ص٨٣، ود. ميشال عاصى: مفاهيم الجمالية والنقد فى أدب الجاحظ. بيروت، مؤسسة نوفل، ط٢، ١٩٨١م، ص١٧٨.

ومن ذلك إشارة الجاحظ إلى ما كان يبطنه طبيبان كبيران مختصان بعلاج الخلفاء – هما سلمويه وابن ماسويه – من عداء للعرب وللإسلام، ورمزا لهذه الكراهية ، ببغض الجمل – سفينة الصحراء للعرب المشهور فى الكتب بأن راكبه النبى ﷺ [٢٧].

كما لاحظ الجاحظ أن البرامكة مع مزاياهم الكثيرة، وخدماتهم العظيمة للدولة، والتى ذكرها الجاحظ فى أكثر من موضع [٢٨] ـ أنهم ـ مع كل هذا – لم يستطيعوا أن ينحوا ميولهم الفارسية، وكراهيتهم لبعض ما يتعلق بالعرب من حيوانات وعادات فى الأكل والشرب، ومن ذلك عرضه لهذه الرواية: "كان بشر بن المعتمر خاصًّا بالفضل بن يحيى، فقدم عليه رجل من مواليه، وهو أحد بنى هلال بن عامر، فمضى به يومًا إلى الفضل ليكرمه بذلك، وحضرت المائدة، فذكروا الضب ومن يأكله، فأفرط الفضل في ذمه، وتابعه القوم بذلك، ونظر الهلالي فلم ير على المائدة عربيًّا غيره، وغاظه كلامهم، فلم يلبث الفضل أن أتى بصحفة ملآنة من فراخ الزنابير، ليتخذ له منها بزماورد – والدَّبر والنحل عند العرب أجناس من الذبان – فلم يشك الهلالى أن الذى رأى من ذِبَّان البيوت والحشوش. وكان الفضل حين ولى خراسان استظرف بها بزماورد الزنابير، فلما قدم العراق كان يتشهَّاها فتطلب له من كل مكان، فشمت الهلالي به وبأصحابه"[٢٩]. وخرج يهجوه ويهجوهم بأكلهم الذبان كما سخروا منه لأكله الضب.

وواضح من هذه الرواية أن الفضل بن يحيى البرمكى ومن معه من الفرس لم يقصدوا بذم الضب وذم من يأكله إلا الطعن فى العرب وفى مآكلهم، وأرادوا إثارة الأعرابي الذى يجالسهم بمثل هذه السخرية الواضحة، ولكن هذا الأعرابي بذكائه وبلاغته انتصر لنفسه وتشفى من خصومه حين سخر هو أيضًا من مآكلهم التى ينفر منها العربي كالذِّبَّان.

وليس فى أيدينا أى إشارة أخرى – فى كتب الجاحظ التى وصلتنا أو فى أى مصدر آخر فيه نصوص للجاحظ – ما نستدل بها على أن نكبة الرشيد للبرامكة كان من أسبابها مثل هذه الميول الشعوبية التى وضحها المؤرخون والباحثون فى اجتذاب البرامكة للكتاب الفارسيين ذوى الميول الشعوبية إليهم وتشجيعهم على الكيد للعرب بتأليفهم كتب المثالب، واحتضانهم الأدباء الفرس الشعوبيين، وكذلك فى مؤازرتهم لبعض الزعماء العلويين المتربصين بالدولة العباسية للقضاء عليها(٣٠).

وكان الأفشين أيضًا من رجال الدولة البارزين الذين حاولوا الكيد للدولة ولخليفتها المعتصم، وذلك أنه بعد أن استطاع الأفشين القضاء على الثورة البابكية والقبض على بابك، غرته نفسه فحاول أن يتعاون مع المازيار، حاكم الطبرستان لعمل الاضطرابات فى الدولة بغية أن ينفصل ببعض أجزاء منها كخراسان، ولكن لم يتم له ما أراد، فقد اكتشف المعتصم تخطيطه وحاكمه، وفى المحاكمه ظهرت شعوبيته فى عدائه للعرب والإسلام؛ ولذا استحق عقاب المعتصم له بقتله(٣١).

والجاحظ يذكر خلال رسالته فى الجد والهزل الأفشين على أنه أحد الخارجين على الدولة؛ ولذا يقول: لا يجب أن يحزن أحد أو يغضب لمصرعه على يد المعتصم(٣٢) .

وفى موضع آخر يذكر الجاحظ ما يدل على شعوبية الأفشين الواضحة ضد العرب، وذلك فى قول الجاحظ: "وكان الأفشين يقول: إذا ظفرت بالعرب شدخت رءوس عظمائهم بالدبوس" (٣٣).

التيار الشعوبي الديني

أما المجال الثانى الذى ظهر فيه النشاط الشعوبي، وحاصر الجاحظ فيه الشعوبية، فهو المجال الدينى، ويتمثل فيما كان يقوم به الشعوبيون فى

خفاء وتستر من محاولة مزج تعاليم الأديان الفارسية كالزرادشتية والمزدكية والمانوية بالإسلام؛ من خلال وضع تفسيرات للقرآن الكريم متفقة مع هذه الأديان[٣٤]، ووضع أحاديث على لسان النبي ﷺ يظهر فيها وجوه للشبه مع ما تنادى به هذه الأديان الفارسية، والعمل على نشر الأديان الفارسية، في وضوح ودون تستر، والكيد للإسلام بالطعن في آيات القرآن الكريم من خلال إظهار ما يتوهمونه فيها من آيات متناقضات.

ويوضح الجاحظ مسالك الزنادقة في الطعن في الإسلام[*] بقوله "بل لا شبهة في الزندقة خاصة فقد كانوا يصنفون في القرآن، ويولدون الأخبار، ويبثونها في الأمصار ويطعنون في القرآن، ويسألون عن متشابهه، وعن خاصه وعامه، ويضعون الكتب على أهله وليس شئ مما ذكرنا يستطيع دفعه جاهل غبي، ولا معاند ذكي"[٣٥]. ولم يخف على الجاحظ أن هؤلاء الزنادقة الطاعنين في الإسلام شعوبيون؛ ولذا نجده يربط بين الشعوبية والزندقة[٣٦] حتى كأنهما قرينتان تذكر إحداهما فتذكر الأخرى، أو يتهم أحد الناس بإحدى التهمتين فلا يلبث – في الغالب – أن تلصق به التهمة الأخرى.

يقول الجاحظ: "فإن عامة من ارتاب بالإسلام إنما كان أول ذلك رأي الشعوبية والتمادي فيه، وطول الجدال المؤدى إلى القتال، فإذا أبغض شيئًا أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، وإذا أبغض تلك الجزيرة أحب من أبغض تلك الجزيرة. فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام؛ إذ كانت العرب هي التي جاءت به، وكانوا السلف والقدوة"[٣٧].

(*) وبصفة عامة فقد كان المعتزلة من أكثر الفرق مواجهة مع الزنادقة ، انظر:
L. GARDET ILM AL – KALAM, IN ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM, NEW EDITION, LEIDEN, 1971, P.1149 .

وكلام الجاحظ فى هذا النص فى منتهى الأهمية؛ لأنه يوضح لنا أن طريق الشعوبية قد يصل بمن يسلكه إلى الزندقة المتمثلة فى كراهية الإسلام ونبيه، كما يؤكد الجاحظ على هذه الصلة بين الشعوبية والزندقة فى قوله: "والشعوبية والآزاد مردية المبغضون لآل النبى ﷺ وأصحابه، ممن فتح الفتوح، وقتل المجوس، وجاء بالإسلام، تزيد فى جشوبة عيشهم"[٣٨] أى عيش العرب من خلال وصفهم سوء مطعمهم ومشربهم.

وفى هذا النص يتضح أن العداء الشعوبى للعرب يتمثل أساسًا من خلال النظرة للعرب على أنهم غزاة لا فاتحون جاءوا لهداية أهالى البلاد المفتوحة لدين الإسلام ؛ كما أن هذا العداء الشعوبى للعرب ، سببه الأساسي محاولتهم القضاء على المجوسية الدين الذى يبطنه أكثر الشعوبيين.

وهكذا نرى أن الشعوبيين – فى الغالب – زنادقة يتسترون بادعاء الإسلام أو يجاهرون بالزندقة دون أى ستار، وقد كانت العقائد الثنوية الفارسية أكبر ما يستمد منه الزنادقة زادهم وفكرهم[٣٩].

على أن الجاحظ لم يفته أن يذكر أن الاتهام بالزندقة لم يكن فى كل الأحوال عن حقيقة ونتيجة السير فى طريق الشعوبية، أو إظهار الإسلام وإخفاء الأديان الفارسية، بل إنه يرى أن الاتهام بالزندقة قد يكون نتيجة للخصومات السياسية أوالأدبية أوالاجتماعية، أو الإسراف فى المجون والخلاعة.

ومن الأمثلة التى يعرضها الجاحظ للاتهام بالزندقة لأغراض سياسية ما ذكره عن هشام بن عبد الملك بن مروان فى محاولته التشنيع على الوليد ابن يزيد ولى العهد بعده بأنه يصحب نفرًا من الزنادقة، يقول الجاحظ فى ذلك: "ومن البرصان: بنو عبد الأعلى الشيبانى الشعراء الخطباء: عبد الله وعبد الصمد، وأخوهما. وكان هشام بن عبد الملك بعث بهم إلى يوسف بن عمر، وكانوا أصحاب الوليد بن يزيد وخاصته، والوليد يومئذ القائم بعد

هشام، فدفعهم يوسف بن عمر إلى محمد بن نباتة، فَطَيَّنَ عليهم إلا بمقدار ما يدخل عليهم منه الطعام فأطعمهم ولم يسقهم، فلما أجهدهم العطش صاحوا: يا سميّ رسول الله إنا مسلمون ألا ترى اسم أبينا "عبد الأعلى" وأسماؤنا عبد الله، وعبد الصمد؟ فلم يمسوا حتى اسودوا ثم اسودوا، ثم برصوا، ثم سلخوا.

وإنما قالوا ذلك لأن هشامًا بعث بهم إلى يوسف على أنهم زنادقة ، وأراد بذلك التشنيع على الوليد"(٤٠).

كما أن الجاحظ يعرض بعض ادعاءات الشعراء على خصومهم كاتهام بعضهم بعضًا بالزندقة رغبة فى الانتقام منهم وتشويه صورتهم(٤١). والجاحظ لا يتسرّع بتصديق مثل هذه الاتهامات؛ لأنه يعرف الغرض منها، وأنها ليست إلا نتيجة الملاحاة والتحريش بين الشعراء.

يضاف لكل هذا أن الجاحظ كان ممن لا يتسرعون فى الحكم بالزندقة على الناس مادام المتهمون بها لم يعلنوها إعلانًا واضحًا بين الناس، وما دامت قرائن الزندقة عليهم غير واضحة وكافية(٤٢). ويعيب الجاحظ على بعض المتكلمين أنهم يتسرعون بإكفار أهل المعاصى ورمى الناس بالجبر أو بالتعطيل، أو بالزندقة(٤٣).

التيار الشعوبى الأدبى

أما المجال الأخير الذى واجه الجاحظ فيه الشعوبية فهو المجال الأدبي، وفيه تجلت مواهب الجاحظ الأدبية والبلاغية؛ لأنه رد من خلاله على ادعاءات الشعوبية على العرب فى لغتهم وخطابتهم وشعرهم، وأنسابهم وفنون قتالهم، وما إلى ذلك مما جرد الشعوبيون فيه كتب المثالب على العرب.

أيضًا كشف الجاحظ فى المجال الأدبى عن الوجوه الشعوبية فى حملة الأخبار ورواة الأشعار، والأدباء والشعراء الذين امتزجوا بالمجتمع الذى

عاش فيه، ونبه لأساليبهم الخبيثة فى محاولة النيل من الثقافة العربية، أو محاولتهم إعلاء الميراث الفارسى القديم.

نظرة الجاحظ للرواة والأدباء المتهمين بالشعوبية

ذكرنا أن الجاحظ كان قلما يهتم بذكر الأشخاص المناصرين للتيار الشعوبى ، وإنما كان يكتفى بعرض أفكارهم ومواجهتها وإفسادها.

ولكن مع هذا فالجاحظ كان يحرص على أن يذكر بعض الأدباء والرواة الشعوبيين ناسبًا لهم الاتهام بالشعوبية؛ لما كان يراه من وجوب تنبيه القارئ لمؤلفاتهم التى تحاول طمس الحقائق بتشويه العرب فى كل ما يتعلق بهم من تراث وعادات ودين.

ومن ذلك حديث الجاحظ عن يونس بن أبى فروة والهيثم بن عَدِىّ.

أما عن يونس بن أبى فروة فالجاحظ ينبه إلى شعوبيته وزندقته فى أكثر من موضع، فهو فى كتاب الحيوان يقول: إنه كان مشهورًا بالزندقة، ويدلل الجاحظ على شعوبيته وزندقته بقوله عنه: "وقد كان كتب كتابًا لملك الروم فى مثالب العرب، وعيوب الإسلام بزعمه" (٤٤).

ويذكر الجاحظ أن الدولة قد طاردته بعد أن بان لها زندقته وشعوبيته، ولكنه اختفى فى بليدة فى سواد الكوفة تسمى النيل حتى هلك(٤٥).

أما الهيثم بن عدى فقد كانت وقفات الجاحظ معه أكثر، وتنويهات الجاحظ على مسالكه الشعوبية متعددة. وقد كان الهيثم عالمًا بالشعر والأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب، وكان يُطعن فى نسبه، (٤٦) وهو كوفي ثم انتقل إلى بغداد، وكان إلى جانب ما اتصف به من صفات علمية مليح الشكل نظيف الثوب طيب الرائحة حلو المحاضرة ، وكانت وفاته سنه ٢٠٧هـ (٤٧).

والجاحظ يؤكد على تمكنه فى علم الأنساب بقوله :" كان هشام بن محمد علامة نسابة، وراوية للمثالب عيابة، فإذا رأى الهيثم بن عدى، ذاب كما يذوب الرصاص فى النار"[٤٨].

كما يذكر الجاحظ أن الهيثم كان يرى رأى الخوارج.[٤٩]

وقد استغل الهيثم بن عدى علمه الواسع بالأنساب فألف عددًا من الكتب فى مثالب العرب وتمجيد تاريخ العجم، يقول عنها صاحب الفهرست: من كتب الهيثم: "كتاب تاريخ العجم وبنى أمية، كتاب المثالب الصغير، كتاب المثالب الكبير، كتاب مثالب ربيعة"[٥٠].

ولم تصل إلينا هذه الكتب، ولكن بعض الكتاب والمؤرخين نقلوا فقرات منها، وهى تدل على طعن الهيثم فى أنساب العرب ومحاولة تشويهها[٥١].

والجاحظ لم يشر فى كتبه التى وصلتنا لمؤلفات الهيثم السالف ذكرها فى مثالب العرب، ولكنه ذكر بعض كتب أخرى له طعن فيها على العرب، كما نوه فى مناسبات كثيرة إلى روايات عن الهيثم بن عدى تجانبها الصحة، وتظهر فيها نزعته الشعوبية.

ففى كتاب البرصان والعرجان يذكر الجاحظ أن الهيثم بن عدى ألف كتابًا عن أصحاب العاهات والأمراض المزمنة فى العرب .

أما منهج الجاحظ فى هذا الكتاب فقد ذكرنا من قبل أنه يشير فيه إلى أصحاب التميز والمواهب من العرب الذين أصيبوا ببعض الأمراض المزمنة والعاهات. وأما منهج الهيثم فى كتابه – كما يتضح من بعض الصفحات التى نشرت منه[٥٢] – فيقتصر على ذكر المرض المزمن أو العاهة، ثم يعرض للمصابين به أو بها من العرب دون أى ذكر لجوانب تميزهم وتفوقهم.

ولهذا الاختلاف الكبير بين منهج كلا الكاتبين وعرضهما لهذا الموضوع الحساس، نجد الجاحظ يكرر فى أكثر من موضع من كتاب

البرصان أن منهجه فيه مخالف لمنهج الهيثم فى كتابه حول هذا الموضوع، فهو يقول فى أحد مواضعه: "وقد خفت أن تكون مسألتك إياي كتابًا فى تسمية العرجان والبرصان، والعميان والصُّمَّان، والحولان، من الباب الذين نهيتك عنه، وزهدتك فيه.

وذكرت لى كتاب الهيثم بن عَدِىّ فى ذلك، وقد خبرتك أن لم أرض بمذهبه ولم أحبه له حظًّا فى حياته، ولا لولده بعد مماته".(٥٣)

وكما حاصر الجاحظ الهيثم بن عدى فى كتابه الذى ألفه عن بعض أصحاب الأمراض وذوى العاهات فى العرب ، وذكر فساد منهجه وشعوبيته فيه ، ورد عليه بكتاب فى الموضوع نفسه، ولكنه يشير لجوانب التميز فيهم – فإن الجاحظ قد فضح مسالك الهيثم الشعوبية عند عرضه لكثير من رواياته التى نقلها عنه فى كتبه، ودلل على أنه بهذا متهم فى الراوية(٥٤).

ومن ذلك رواية الهيثم لحديث عن العرب يظهر فيه مبالغات وانتقاص لحياتهم، ويشكك الجاحظ فى صحة هذا الحديث بقوله: "وأنا أتهم هذا الحديث لأن فيه ما لا يجوز أن يتكلم به عربى يعرف مذاهب العرب وهو من أحاديث الهثيم"(٥٥).

كما يعرض الجاحظ بعض أقوال وأخبار فى كتاب البيان والتبيين، ثم يعلق عليها بقوله: "وهذه الأشياء ولدها الهيثم بن عدى" (٥٦).

وهكذا نرى أن الجاحظ يعرض كل خبر عن الهيثم على مقياس النقد ليتضح له مدى صحته أو تزييفه ، وذلك بغرض تنقية التراث العربى مما يحاول الشعوبيون كالهيثم بن عدى دسَّه فيه لتشويهه.

وقد لاحظ الجاحظ أن الهيثم لم يكتف بمحاولة تشويه التراث العربى بما يحمله من أخبار وتاريخ، ولكنه حاول أيضًا أن يهزأ من كبار الرجال المشهود لهم بالزعامة والكفاءة عند العرب كالأحنف بن قيس، ومن ذلك قول الجاحظ: "وروى الهيثم بن عدى عن أبى يعقوب الثقفى، عن عبد

الملك بن عُمير قال: قدم علينا الأحنف بن قيس الكوفة مع المصعب بن الزبير، فما رأيت خصلة تذم فى رجل إلا وقد رأيتها فيه: كان صَعْل الرأس أحْجَن الأنف، أغضف الأذن، متراكب الأسنان، أشدق، مائل الذقن، ناتئ الوجنة، باخق العين، خفيف العارضين، أحنف الرجلين، ولكنه كان إذا تكلم جَلَّى عن نفسه.

ولو استطاع الهيثم أن يمنعه البيان أيضًا لمنعه ولولا أنه لم يجد بدًّا من أن يجعل له شيئًا على حال لما أقر بأنه إذا تكلم جلى عن نفسه"[٥٧].

وهذا الحقد الذى يضمره الهيثم ضد العرب وكل ما هو عربى، لم يجعل الجاحظ يقف أمامه دون أن يشير إليه وإلى شعوبيته فى جلاء ودون مواربة.

على أننا كنا ننتظر من الجاحظ أن يذكر رواة وكتابًا شعوبيين آخرين تعرضت لهم كتب الأدب والتاريخ ونوهت إلى شعوبيتهم، ولكن الجاحظ لم يشر إليهم فى كتبه التى تعرض فيها للشعوبية ووصلت إلينا[٥٨].

وأما من ذكره منهم كسهل بن هارون وأبى عبيدة فلم يتعرض لهم بتهمة الشعوبية، أو حتى مجرد النقد الذى يشتم منه روائح الاتهام بالشعوبية.

فأبو عبيده معمر بن المثنى وصلت لنا بعض كتبه التى يطعن فيها على العرب، ككتابه "العقفة والبررة" الذى يحاول أن يصف فيه رجال العرب بغير ما عرفوا به قديمًا من بر ووفاء، فيصفهم فيه بالعقوق والجحود"[٥٩].

كما وضح ابن قتيبة بجلاء بعض مطاعنه على العرب فى أطعمتهم وأنسابهم وأخبارهم، ورد عليه ابن قتيبة ردًّا شديدًا مفحمًا على كل هذه المطاعن، وأظهر الحقد الشعوبى الذى يضمره على العرب وكل ما يتعلق بهم[٦٠]. وذكر عدد كبير من المؤرخين والباحثين شعوبية أبى عبيدة على أنها مما لا يمكن إنكاره أو التهوين من شأنه[٦١].

ومع كل هذه الاتهامات والأصوات التى تؤكد شعوبية أبى عبيده فإننا نجد الجاحظ لا يذكره في أى موضع من كتبه إلا مع عبارات الثناء والإكبار والمديح، ومن ذلك قوله عنه: "وممن كان يرى رأى الخوارج أبو عبيدة النحوى معمر بن المثنى، مولى تيم من مرة، ولم يكن فى الأرض خارجى ولا جماعى أعلم بجميع العلم منه" [٦٢].

كما يذكره الجاحظ على أنه أحد الرواة الموثوق بهم[٦٣]، وتتعدد نقول الجاحظ عنه فى مواضع مختلفة من مؤلفاته، يرويها على سبيل الثقة والتيقن لثقته بحاملها[٦٤].

ولم يخالفه الجاحظ إلا فى مواضع قليلة كتفسيره لآية فى القرآن رأى الجاحظ أن أبا عبيدة لم يحسن تأويلها، وذكر تأويله هو لها المخالف لتأويل أبى عبيدة [٦٥] .

وهكذا نرى أن صورة أبى عبيدة عند الجاحظ تخلو من أى اتهام بالشعوبية، وكذلك الأمر فى سهل بن هارون فإن الجاحظ يطنب فى مدحه بفنون البلاغة المختلفة التى أجادها، ويصف براعته وحسن حديثه[٦٦] دون أن يذكر شيئًا عن شعوبيته التى اتهمه بها كثير من الكتاب والمؤرخين والباحثين[٦٧].

على أن الجاحظ قد كشف عن صفة خلقية سيئة فى سهل بن هارون هى حبه للبخل، وأثبت له رسالة فى كتاب البخلاء فى الانتصار للبخل والاقتصاد فى النفقة ومهاجمة المسرفين[٦٨]، رأى بعض الباحثين أن الجاحظ قد أراد بوضعها بهذا الشكل وصف سهل بالشعوبية؛ لأنه ممن يؤيد البخل الفارسى فى مقابل الكرم العربى.[٦٩]

ولكن هذا الاتهام لسهل من قبل الجاحظ يأتي من خلال الظن الذى يفترضه الباحثون لا اليقين الذى تؤكده النصوص الواضحة الدلالة .

فعلى كل الأحوال لا يوجد بين أيدينا نص صريح يتهم الجاحظ فيه سهلاً بالشعوبية.

وفى ظنى أن الجاحظ كان مدركًا للنوازع الشعوبية فى أبى عبيدة وسهل بن هارون، لشهرة اتهام كل منهما بها، ولكنه لم يشر إليها عملاً بقوله فى أنه لا يحب الإساءة لمن يشاركه فى حرمة الكلام(٧٠).

خاصة أن أبا عبيده كان شيخًا للجاحظ، وكان الجاحظ يجل شيوخه وأساتذته(٧١). وسهل بن هارون كان صديقه الذى طالما جلس إليه وتحدث معه(٧٢).

يضاف لهذا أن الجاحظ لم يكن من طبعه التجريح والتشهير بالعلماء، وقد نبه هو كثيرًا لهذه الصفة فيه عند تعرضه لبعض المسائل التى يرددها بعض العلماء وينكر هو عليهم آراءهم فيها، فيكتفى عند ذلك بعرض هذه الآراء دون ذكر أسماء قائليها، ثم يأخذ هو فى الرد عليها(٧٣).

الجاحظ يفرق بين النقد الفنى والنقد الأخلاقي

وجدير بالذكر هنا أن الجاحظ كان يفرق بين النقد الفنى والنقد الأخلاقى عند الحكم على الشعراء والأدباء المتهمين بالشعوبية والزندقة، فهو حين تعرضه لشعرهم وأدبهم كان يذكر ما فيه من مزايا فنية وبلاغية أو أى قصور فنى، وفى الوقت نفسه كان ينقد ما فيه من عبارات تنافى الدين الحنيف أو تسئ إليه، أو ما فيه من أقوال تدعو إلى المجون والعبث والتهتك. وكان يلوم الشعراء الذين يصدر عنهم مثل هذه الأقوال ، ويوجه إليهم نقده الخلقي الداعى إلى العفة فى الخلق وعدم ذكر التعبيرات التى يشتم منها الكفر والإلحاد .

ولتوضيح ذلك نجد أن الجاحظ يذكر ما يدل على شعوبية بشار بن برد فى حبه الفرس ومديحه إياهم خاصة أهل خراسان منهم(٧٤)، كما يعرض

بعض أفكاره الشعوبية وزندقته التى ذكرها فى شعره، كتفضيله النار على الأرض وتصويبه رأى إبليس فى تقديم النار على الطين، وإيمانه بالرجعة[٧٥].

ولكن اقتناع الجاحظ بشعوبية بشار ، وذكره لآرائه التى تدل على زندقته لم يمنعاه من أن يذكر أن موهبة بشار الشعرية هي أعلى القمم فى الشعراء المولَّدين، وأن شعره يقف مستويًا شامخًا إلى جوار شعر الفحول المتقدمين عليه من شعراء العرب، يقول الجاحظ فى ذلك: "والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلى والسيد الحميري وأبو العتاهية وابن أبى عيينة. وقد ذكر الناس فى هذا الباب يحيى بن نوفل وسلمًا الخاسر، وخلف ابن خليفة وأبان بن عبد الحميد اللاحقي أولى بالطبع من هؤلاء، وبشار أطبعهم كلهم"[٧٦]، كما يذكر الجاحظ بشارًا فى موضع آخر على أنه من أصوب الشعراء المولدين بديعًا[٧٧]؛ أى تجديدًا وابتكارًا فى الصور الفنية.

وموقف الجاحظ نفسه من بشار فى تفرقته بين النظر إليه من حيث الفن والنظر إليه من حيث الأخلاق – نجده فى نظرة الجاحظ لأبى نواس، فهو الآخر لا يخفى اتهامه بالشعوبية[٧٨]، ويشير الجاحظ إلى أبيات له تدل على الكفر وينبه إلى ضلالها[٧٩]، كما يذكر الجاحظ ما فى شعر أبى نواس من غزل ماجن عابث وما فيه من تهتك بذكر اللواط الذى حرمه الله، ويذكر الجاحظ أن هذا الغزل وذاك التهتك بذكر اللواط اللذين أكثر فيهما أبو نواس ومن على شاكلته من شعراء الشعوبية المعاصرين له مما لم يعرفه العرب القدماء[٨٠].

وذلك ليدلل على عفة شعراء العرب القدماء ومجون شعراء الشعوبية المعاصرين له وتهتكهم .

ولكن الجاحظ حين يترك الجانب الأخلاقي فى نقده لشعر أبى نواس إلى الجانب الفنى فيه، فإنه يعلى من قدره ويرفع من شأنه بين شعراء عصره

ومن تقدمه، ويرى أنه من أفضل أفداذ الشعراء المولدين بعد بشار، وفى سبيل دفاعه عنه ومن على شاكلته من الشعراء المولدين البارزين يجاهد أولئك النقاد الذين لا يستحسنون إلا الشعر العربى القديم ويستهجنون ويزرون بكل ما هو جديد محدث، يقول الجاحظ فى ذلك: "وأنا كتبت لك رجزه(*) فى هذا الباب، لأنه كان عالمًا راوية، وكان قد لعب بالكلاب زمانًا، وعرف منها ما لا تعرفه الأعراب، وذلك موجود فى شعره، وصفات الكلاب مستقصاة فى أراجيزه، هذا مع جودة الطبع وجودة السبك والحذق بالصنعة، وإن تأملت شعره فضلته، إلا أن تعترض عليك فيه العصبية، أو ترى أن أهل البدو أبدًا أشعر، وأن المولدين لا يقاربونهم فى شئ، فإن اعترض هذا الباب عليك فإنك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغربًا"(٨١).

كما يوازن الجاحظ بين أبيات شعرية لأبى نواس والمهلهل، فيفضل أبيات أبى نواس، ويقول: "وأبيات أبى نواس على أنه مولد شاطر أشعر من شعر المهلهل فى إطراف المجلس بكليب أخيه"(٨٢).

وهكذا شأن الجاحظ حين تناوله لأى شاعر من الشعراء سواء اتهم بالشعوبية أم بالزندقة أم بأى ميول دينية وخلقية تخالف ما عليه جماعة المسلمين، فهو دائمًا وأبدًا يفرق فى حكمه على أى منهم بين النقد الفنى والنقد الأخلاقي(٨٣).

(*) أى أبا نواس.

- هوامش الفصل الثانى -

(١) رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. رسالة مناقب الترك، ١٦/١ - ١٧، وانظر أيضًا: د. أحمد الحوفى، تيارات ثقافية بين العرب والفرس. دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط ٣، ١٣٩٨ هـ /١٩٧٨ م ، ص ١٥١.

(٢) رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. رسالة مناقب الترك، ١٥/١.

(٣) د. سعيد منصور. بحث بعنوان "أدب الجاحظ فى صلته بعصره"، منشور ضمن كتاب دراسات فى النثر العربى ، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص ٣٠١- ٣٠٢، وانظر أيضًا د. طه حسين: حديث الأربعاء. القاهرة، دار المعارف، ط ١٥ ،٢١/٢ .

(٤) البيان والتبيين، ٣٦٦/٣ .

(٥) رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. كتاب البغال، ٢٥٢/٢.

(٦) البخلاء، ص١٤٢.

(٧) البرصان والعرجان ، ص٣٠٥.

(٨) المطهر بن طاهر المقدسى: البدء والتأريخ. اعتنى بنشره وترجمته كلمان هوار. طبعة بايز، ١٨٩٩م، ١٠٤/٥ ، ١٠٥ ، والفهرست. ط بيروت، دار المعرفة، ص١٧٥، ٤٧٣ ، والعصر العباسي الأول، ص ٧٦، والجذور التاريخية للشعوبية ، ص٤٨، ٤٩، ٢٧٦- ٢٧٧، والشعوبية والأدب أبعاد ومضمونات، ص٢٠٣-٢٠٤.

(٩) رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. كتاب البغال، ٢ /٣٠١.

(١٠) الحيوان، ٣٦٧/٦ - ٣٦٨ .

(١١) المصدر السابق، ٩/٣ ؛ ٣٤٦/٦ - ٣٤٧ ، ومعجم الأدباء، ٢١١٢/٥.

(١٢) د. محمد نبيه حجاب . الصراع الأدبي بين العرب والعجم . القاهرة ، المكتبة الثقافية ، سبتمبر ١٩٦٣ م ، ص ١٢٥ .

(١٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى (العصر العباسى الأول). مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٤٨م، ٢ / ١٠٢ - ١٠٣.

(١٤) البرصان والعرجان ، ص ٣٩٧ - ٣٩٨.

(١٥) البيان والتبيين، ١٠٢/٣-١٠٣.

(١٦) البرصان والعرجان ، ص ٣٩٩.

(١٧) الطبرى: تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم والملوك). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة، دار المعارف، ط٤، ١٩٧٩م، ١١/٩ .

(١٨) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. قدَّم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين. بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ٢٩٠/٢ .

(١٩) د. عبد المحسن عاطف سلام. الثورة البابكية فى الأدب العربي. دار المعارف بمصر، ١٩٦٩م، ص ٩٢-٩٣.

(٢٠) المرجع السابق ص ٩٣.

(٢١) تاريخ الإسلام السياسى، ١٠٥/٢ .

(٢٢) البرصان والعرجان ، ص ٣٩٨ .

(٢٣) البخلاء ، ص ٥٢ .

(٢٤) الجاحظ: رسالة فى مناقب خلفاء بنى العباس. تحقيق د. محمد محمود الدروبى. الكويت، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الثانية والعشرون، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٧٢ .

(٢٥) المصدر السابق، ص ٧٢ .

(٢٦) رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. من كتابه الأوطان والبلدان، ١٣٤/٤ - ١٣٥.

(٢٧) الحيوان، ٢٤٦/١.

(٢٨) الجاحظ: فصول مختارة لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: حققها وقدم لها د. محمد محمود الدروبى. عمان، دار البشير، ط١، ٢٠٠٢م، ص٥٧، والحصرى القيروانى: زهر الآداب وثمر الألباب. تحقيق على محمد البجاوى. القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، لا.ت،٤٩٨/١، والنجوم الزاهرة، ١٨٠/٢، وابن تغرى بردى: مورد اللطافة فى من ولى السلطنة والخلافة. تحقيق ودراسة وتعليق د. نبيل محمد عبد العزيز أحمد. القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٧م، ١٣٤/١، والسيوطى: تاريخ الخلفاء. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد. القاهرة، لا.ت، ص٢٨٦.

(٢٩) الحيوان، ٩٠/٦ - ٩١ .

(٣٠) الفهرست، ط. بيروت، دار المعرفة، ص ١٧٥، ٤٧٣ ، والعصر العباسى الأول، ص ٧٦، والعصر العباسى الثانى، ص ٩-١٠ ، والجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٤٨-٤٩، ود. إبراهيم أحمد العدوى: المجتمع العربى ومناهضة الشعوبية. القاهرة، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بالفجالة، ١٩٦١م، ص ٨١-٨٢ ، والشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي فى الحياة الإسلامية فى العصر العباسى الأول ، ص٢٧٦ - ٢٧٧ ، والشعوبية والأدب أبعاد مضمونات، ص٢٠٤ .

(٣١) انظر عن الأفشين ومحاكمته فى المصادر والمراجع التالية: تاريخ الطبرى، ٨٠/٩ -١١٤ ، والنجوم الزاهرة، ٢٩٥/٢-٢٩٦، ٣٠١، وأبو الفرج الأصفهانى: الأغانى. تحقيق نخبة من المحققين. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٥٠/٨ -٢٥١، ومحمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية. القاهرة، دار الفكر العربى، لا.ت، ص ١٥١، والشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى فى الحياة الإسلامية فى العصر العباسى الأول ، ص ١٤٩، ود. سميرة مختار الليثى: الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليهما. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٨م، ص ١٦٤، ومظاهر الشعوبية فى الأدب العربى، ص٣٧١ .

(٣٢) رسائل الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . رسالة فى الجد والهزل، ٢٣٥/١ .

(٣٣) البيان والتبيين، ٥٨/٣.

(٣٤) الجذور التاريخية للشعوبية، ص ٧٣، ونجاح محسن: الفكر السياسى عند المعتزلة. القاهرة، دار المعارف، ص ٢٢٦ - ٢٢٧، ود. على أبو ملحم: الفلسفة العربية مشكلات وحلول. بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٢٩.

(٣٥) رسائل الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . من كتابه فى حجج النبوة، ٢٧٨/٣.

(٣٦) وفى تعريف الزندقة وعرض أنواعها انظر: أحمد أمين. ضحى الإسلام، ١٦١/١. وانظر فى تعريف الزندقة أيضاً: المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد. بيروت، المكتبة الإسلامية، لا.ت،٢٥٠/١ - ٢٥١، ودائرة المعارف الإسلامية ، طبعة كتاب الشعب، مادة زندقة، لماسنيون، ٤٤٢/١.

والجاحظ حين يذكر الزنادقة فإنه يقصد بهم أولئك الذين يظهرون الإسلام ويبطنون غيره من الأديان. انظر: رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون . من كتابه فى الرد على النصارى، ٣ / ٣١٥ – ٣١٦ .

(٣٧) الحيوان، ٢٠٢/٧. وقد لاحظ ابن قتيبة أيضًا ارتباط الشعوبية بالزندقة، ولعله قد تأثر فى ذلك بالجاحظ.

انظر: ابن قتيبة: العرب أو الرد على الشعوبية. كتاب منشور ضمن رسائل البلغاء. جمع وتحقيق محمد كرد على. القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٣، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م، ص٣٤٤.

(٣٨) البخلاء ، ص ٢٢٨ .

(٣٩) د. سعيد منصور : بحث بعنوان " أدب الجاحظ فى صلته بعصره "، منشور ضمن كتاب دراسات فى النثر العربى، ص ٣٠٣ .

(٤٠) البرصان والعرجان ، ص ١٣٠ .

(٤١) الحيوان، ٤٤٩/٤ – ٤٥٤.

(٤٢) المصدر السابق، ٤٥١/٤ .

(٤٣) المصدر السابق، ١٧٤/١ .

(٤٤) المصدر السابق، ٤٤٨/٤ .

(٤٥) رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون . كتاب ذم أخلاق الكتاب، ٢٠٢/٢ – ٢٠٣ .

(٤٦) الفهرست ط . بيروت، دار المعرفة، ص ١٤٥.

(٤٧) النجوم الزاهرة، ٢٣٠/٢.

(٤٨) البيان والتبيين، ١٣٢/١.

(٤٩) المصدر السابق، ٣٤٧/١، وإذا ما راعينا أن خارجيًّا آخر هو أبو عبيدة كان يقف مع الهيثم بن عدى فى صف كبار الشعوبيين الذين يحاولون العبث بالتراث العربى والقيم والعادات العربية – انظر: رسائل البلغاء. كتاب العرب أو الرد على الشعوبية، ص ٣٤٧– ٣٥١ – كان لنا أن نزعم أن بعض الشعوبيين انتحلوا مذهب الخوارج الذي يدعو إلى الثورة على السلطة الحاكمة أموية كانت أو عباسية ، بغرض القضاء على النفوذ العربى ونشر دواعى الاضطراب فى الأمة .

(٥٠) الفهرست، ط. بيرووت، دار المعرفة، ص ١٤٥.

(٥١) انظر بعض نصوص من هذه الكتب فى الأغاني، ١٣/١ ، وشرح نهج البلاغة، ٦٨/١١.

(٥٢) نشرت هذه الصفحات مع كتاب البرصان والعرجان للجاحظ ، ص ٥٦٥ – ٥٧٠ .

(٥٣) البرصان والعرجان، ص ٣٠ – ٣١، وانظر أيضًا، ص ٣٤ .

(٥٤) رسائل الجاحظ: جمع د. على أبو ملحم . الرسائل السياسية . رسالة فى الحكمين ، ص ٣٩٤.

(٥٥) البخلاء، ص ٢٢٢.

(٥٦) البيان والتبيين، ٢٣٨/٢.

(٥٧) المصدر السابق، ٥٦/١ .

(٥٨) من هؤلاء الشعوبيين الذين ذكرت كتب التاريخ والأدب اتهامهم بالشعوبية وتأليفهم كتبًا فى مثالب العرب عِلاّن الشعوبى، انظر عنه وعن شعوبيته ولاحظ اتصاله بالبرامكة فى الفهرست، ط. بيروت، دار المعرفة، ص ١٥٣ – ١٥٤، والصفدى: الوافى بالوفيات. تحقيق نخبة من المحققين. الناشر دار فرانز شتاينر بفيسبادن، ٥٥٨/١٩ ، وبروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ٣٥/٣، وأيضًا هشام بن الكلبى الذى اشتهر بمحاولاته لتدليس أنساب العرب انظر عنه: الأغاني، ١٣/٢٢، وحول كتبه فى مثالبهم انظر: الفهرست ط. بيروت، دار المعرفة، ص ١٤٠– ١٤١. والجاحظ يكتفى بأن يذكر أنه وأبوه متهمان فى الراوية (رسائل الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . كتاب البغال، ٢٢٥/٢)، وبروكلمان يرى أن رواياته فى مثالب العرب صحيحة ويصدقها البحث الحديث (تاريخ الأدب العربى، ٣١/٣)، ونحن نخالفه فى هذا لأن كتبه فى المثالب كتبت بغرض التشويه لا عرض الحقائق، وهذا ما انتبه إليه مؤرخو العرب وفات بروكلمان الانتباه إليه.

وإذا كان الجاحظ قد أشار إلى انتشار الزندقة بين عدد كبير من الكتاب فإنه لم يذكر منهم إلا يونس بن أبى فروة وعددًا آخر قليلاً معه، وذلك ضمن رسالته فى ذم أخلاق الكتاب، ٢٠٢/٢– ٢٠٣.

ولم يذكر الجاحظ ابن المقفع على أنه ممن اشتهر بالشعوبية والزندقة على كثرة تعرضه ونقده له فى كتبه مما يجعلنا نقول مع أستاذنا الدكتور سعيد منصور: إن الاتهامات التى اتهم فيها ابن المقفع بالزندقة تنقصها الدلائل القوية. انظر د. سعيد منصور: بحث بعنوان: "إعادة بناء الفكر الدينى عند ابن المقفع

مفهوم الدين فى أدبيه الصغير والكبير"، منشور ضمن كتاب دراسات فى النثر العربى، ص ١٣٩-٢٠٦ .

(٥٩) أبو عبيدة معمر بن المثنى: العققة والبررة. منشور ضمن كتاب نوادر المخطوطات. تحقيق وتقديم عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ٢/ ٣٥٨ .

(٦٠) رسائل البلغاء . كتاب العرب أو الرد على الشعوبية ، ص ٣٤٦ – ٣٥١ .

(٦١) انظر فى ذلك: الفهرست ط. بيروت، دار المعرفة، ص٧٩ – ٨٠ ، ومروج الذهب، ٣٦/٣، وزهر الآداب، ٥٧٧/١، وأبا الطيب عبد الواحد بن على اللغوى الحلبى: مراتب النحويين. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، لا.ت، ص ٤٥، وانظر أيضًا فى المؤلفات الحديثة التالية :
العصر العباسى الأول ، ص ١٢٠، وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان، ١٤٢/٢ – ١٤٣، ود. كاظم حطيط: مع ابن قتيبة فى مسار الصراع العربى الشعوبى. بيروت، دار الهادى، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٤٢ ، ومظاهر الشعوبية فى الأدب العربى، ص ٥٥٤، ٥٥٦، والشعوبية والأدب أبعاد ومضمونات، ص ٣٢٩، ودائرة المعارف الإسلامية، مادة أبى عبيدة، لأوبسترب، ط. كتاب الشعب، ٣٧٦/١-٣٧٧.
أما تشكيك الدكتور طه الحاجري فى شعوبية أبى عبيدة فى مقالته عنه فى مجلة الكاتب المصرى مج ٢ عدد ٦ مارس ١٩٤٦، ص ٢٨٤ – ٢٨٦ وقوله عنه إنه من أهل التسوية لا من غلاه الشعوبيين الفرس الحاقدين على العرب، فيدفع ذلك ما عرضه ابن قتيبه من مظاهر شعوبيته التى تدل بجلاء على أحقاده على العرب واتهامه لهم .

(٦٢) البيان والتبيين، ٣٤٧/١.

(٦٣) رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. كتاب البغال، ٢٢٧/٢.

(٦٤) ومن ذلك انظر البيان والتبيين، ٢١٥/١ والحيوان، ٤٠٣/٣ ، ٤٤١.

(٦٥) البيان والتبيين، ١٨٨/١.

(٦٦) المصدر السابق، ٥٢/١، ٩٣، ورسائل الجاحظ. كتاب البغال، ٢٦١/٢ – ٢٦٢.

(٦٧) الدميرى: حياة الحيوان الكبرى. مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، ط٥، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ٤٩٢ ، والوافى بالوفيات، ١٨/١٦ ،

ومعجم الأدباء، ١٤٠٩/٣ ، والفهرست ط. بيروت، دار المسيرة، ص ١٣٣، وزهر الآداب، ٥٧٧/١، والعصر العباسى الأول، ص ٥٣٦، ومظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ، ص ٤٢١ – ٤٢٢ ، والزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليهما، ص ٢٠٤.

(٦٨) البخلاء، ص ٩-١٦، وأبو الوفاء الخوارزمى: المناقب والمثالب . دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١، ١٩٩٩م ص٦١ .

(٦٩) الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسى فى العصر العباسي الأول، ص٣١٥، والفن ومذاهبه فى النثر العربى ، ص ١٤٩-١٥٠، وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان، ٣٥/٣، والعصر العباسى الأول ، ص ٥٣٦، ود. محمد عبد الغنى الشيخ: النثر الفنى فى العصر العباسى الأول اتجاهاته وتطوره. الدار العربية للكتاب، ١٩٨٨م، ص ٢٦٩ ، والشعوبية والأدب أبعاد ومضمونات، ص ٢٦١.

(٧٠) الحيوان، ٣٧/٦.

(٧١) د. وديعة طه النجم : الجاحظ والنقد الأدبي. الكويت، حوليات كلية الآداب، الحولية العاشرة، الرسالة التاسعة والخمسون، ١٤٠٩هـ- ١٤١٠هـ/ ١٩٨٨م – ١٩٨٩م، ص٢٠، وضحى الإسلام، ٣٩٥/١ .

(٧٢) الحيوان، ٢٠٢/٧.

(٧٣) البيان والتبيين، ٢٤/٤ .

(٧٤) المصدر السابق، ٤٩/١.

(٧٥) المصدر السابق، ٢٧/١-٣٢، والشريف المرتضى: أمالى المرتضى، غرر الفوائد ودُرر القلائد. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابى الحلبى وشركاه، ١٣٨/١، وعبد الرحيم العباسى: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد. القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م، ٢٩٧/١. وحول إشارات الكتاب والمؤرخين والباحثين لشعوبية بشار وزندقته انظر: الأغاني، ١٣٨/٣ ، ١٣٩، ١٨٢-١٨٣، ١٨٥-١٨٦، ٢٠٤ ، ٢٠٧ – ٢٠٩ ، ٢١١ ،٢٢٧، ٢٤٨، والحصرى القيروانى: جمع الجواهر فى الملح والنوادر. حققه وطبعه وفصّل أبوابه ووضع فهارسه على محمد البجاوى. بيروت، دار الجيل، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٣٤٤، وحديث الأربعاء، ٢ /١٩٢- ١٩٣، ود. محمد مصطفى هدارة: اتجاهات الشعر العربى فى

القرن الثانى الهجري. دار المعرفة الجامعية، ص ٤٣٦ ، وضحى الإسلام، ١٩٥/١، وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان، ١٥/٢، والجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٨٣ ، ودائرة المعارف الإسلامية، ط. كتاب الشعب، مادة بشار، ٦٤٨/٣.

(٧٦) البيان والتبيين، ٥٠/١، وانظر فى إشادة الجاحظ بشعر بشار: ابن عاصم الأندلسى: حدائق الأزاهر. تحقيق د. عفيف عبد الرحمن. بيروت، دار المسيرة، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص١٦٩، ومعاهد التنصيص، ٥١/١ .

(٧٧) البيان والتبيين، ٥١/١ .

(٧٨) انظر فى اتهام أبى نواس بالشعوبية المراجع الآتية: حيث الأربعاء، ٩٠/٢ ، ٩١، ١٠٢، ومظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ، ص ٣٠٠، وتيارات ثقافية بين العرب والفرس، ص ١٥٥، والجذور التاريخية للشعوبية، ص٨٤، واتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى، ص٤٣٣، ٤٣٤، والشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسى فى الحياة الإسلامية فى العصر العباسى الأول، ص ١١١ ، ١١٤ ، والمجتمع العربى ومناهضته للشعوبية، ص٢٠٧، والشعوبية والأدب أبعاد ومضمونات، ص١١٨-١١٩، ٢٥٦ ، ٢٨٩-٣١٨، ود على شلق : أبو نواس بين التخطى والالتزام . بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٣٩٨، ٤٠١، ٥٢٥.

(٧٩) الحيوان، ٤٥٤/٤ – ٤٥٧ ، وبعد أن يعرض الجاحظ لأبياته هذه التى يشتم منها الكفر يقول: "ومع هذا فإنا لا نعرف بعض بشار أشعر منه " الحيوان، ٤٥٧/٤.

(٨٠) رسائل الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون. كتاب مفاخرة الجوارى والغلمان، ١٠٦/٢ – ١١٣.

(٨١) الحيوان، ٢ / ٢٧ ، وانظر أيضًا فى استحسان الجاحظ لشعر أبى نواس: زهر الآداب، ٧٦٠/٢.

(٨٢) جمع الجواهر فى الملح والنوادر ، ص ٧٩ .

(٨٣) الحيوان، ٢ / ٢٠٨ – ٢٠٩ .